دَوْرُ الإمَامِ زَيْنِ العَابِدِينَ عليه السلام فِي بِنَاءِ الأُمَّة

٣٩
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

دَوْرُ
الإمَامِ زَيْنِ العَابِدِينَ عليه السلام
فِي بِنَاءِ الأُمَّة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

علي بن الحسين عليه السلام

هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام رابع الأئمة الهداة الميامين المعروف لدى المحدثين بابن الخيرتين فأبوه الحسين بن علي وأمه من بنات ملوك الفرس، فخيرته من العرب بنو هاشم ومن العجم فارس وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي:

وإن وليداً بين كسرى وهاشم

لأكرم من نيطت عليه التمائم

وكما هو مشهور أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام ولد في الخامس من شعبان سنة ٣٨ هجرية وقد تقلد مهام الإمامة بعد أن حلت أعظم رزية في تأريخ الإنسانية في قتل ابن بنت نبي الإنسانية الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وسبي عياله حيث ساقوهم كما تساق الأسارى من غير العرب وهو ضمن ذلك الركب الذي يضم عقيلة الطالبين وبنات الهداة الميامين وأطفال القداسة والرئاسة الهاشمية هكذا بدأت إمامته عليه السلام عندما تقلدها كانت يداه مقيدتان إلى رقبته تجمعها الجامعة التي أحكمها أعداء الله وأعداء الإنسانية جمعاء.

انطلق بمهمته في الدفاع عن الدين وأهله فوقف ذلك الصلب

الشديد بوجه طغاة عصره، وتحدى عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد ثم يزيد بن معاوية (لعنهم الله أجمعين) وأثار حفيظة أهل الشام بخطبته الرائعة في المسجد الأموي وبحضور يزيد بن معاوية مما أدى إلى انقلاب ذلك الجمع من شامت إلى نصير ولولا تدارك يزيد الموقف لحدث ما لم يخطر ببال أحد.

ولو تأملنا بعض الشيء في حياته لوجدناها مملوءة بالحزن والأسى، حيث نشأ في بيت النبوة ومهبط الوحي في البيت الذي تحمل أقسى ما يتصور من الألم والمحن والمصائب في سبيل الله مع نعومة أظفاره استقبل المصائب والرزايا، وأولها محنة جده المرتضى الذي صُرع في محراب مسجد الكوفة ثم بعد ذلك محنة عمه الحسن عليه السلام يراه يُخْذَل ثم يراه يتألم وتتقطع أحشاؤه من أثر السم الذي دُسّ إليه، وشهد في شبابه وهو طريح الفراش قتل أبيه وأهل بيته في أبشع صورة عرفتها الإنسانية، والأدهى من ذلك كله سوق بنات الرسالة أسرى من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم إلى الشام.

الإمام السجاد عليه السلام يقود الأمة

بعد كل المعاناة التي لاقاها الإمام عليه السلام نهض بمهام الإمامة في قيادة الأمة التي لم يرتد فيها إلاّ ثلاث وكما جاء في حديث الصادق عليه السلام قال: (ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة : أبو

خالـد الكابلـي ويحيى بن أم الطويل ومحمد بن جبير بن مطعم ، ثم إن الناس لحقوا وكثروا)[1].

والارتـداد – لغـة بمعنـى رجوع الشـيء إلى حال قـد كان عليها، أو هـو الرجوع أو ضل عن سـبيله أي وقـع في الحيرة، والردة بمعنى الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام.

يقـال ارتـد عن دينه إذا كفر بعد الإسـلام كما في قوله تعال: (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُـمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[2].

إن الارتـداد المقصـود في حديـث الإمـام الصـادق عليه السلام ليـس هـو الارتـداد[3] المصطلـح الموجب للكفر والنجاسـة والقتل بل الارتداد هنا هو نكث عهد الولاية ونوع رجوع عن هدي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وعدم رعاية وصاياه[4].

انطلق الإمام علي بن الحسين عليه السلام في هذا ا لجو وا لمجتمع المهزوم الـذي لم يثبـت على ثوابـت الإيمـان الحقيقية وابتعـد عن الحق وأهله وبتفاوت ودرجات صال وجال وكر ثم كر وليس معه في الأمة

(١) الكافي / الشيخ الكليني/ ج٢ هامش ص ٣٨٠.

(٢) البقرة - الآية - ٢١٧ .

(٣) الارتداد – يوجب القتل ويحكم بنجاسته وتبين المرأة.

(٤) أنظر تأريخ الأفكار الأول/ السيد الكلبايكاني / ص١٩٦.

إلا الثلاثة (يحيى بن أم طويل[1] وأبو خالد الكابلي[2] ومحمد بن جبير بن مطعم[3]).

كان هؤلاء الثلاثة من خواص الأئمة عليهم السلام وكانوا مأذونين من قبل الأئمة عليهم السلام بترك التقية لمصلحة خفية أو أنهم كانوا يعلمون أنه لا تنفعهم التقية وأنهم يقتلون على كل حال بإخبار المعصوم أو غيره والتقية إنما تجب إذا نفعت مع أنه يظهر من بعض الأخبار

(١) يحيى بن أم طويل: من خواص الإمام السجاد عليه السلام ظئر علي بن الحسين عليه السلام وكان يدعوها أماً فيكون يحيى أخو الإمام من جهة الرضاع، كان يقف بالكناسة (موضع في الكوفة) ثم ينادي بأعلى صوته: يا معشر أولياء الله أنا براء مما تسمعون، من سب علي فعليه لعنة الله ونحن براء من آل مروان وما يعبدون من دون الله كان يظهر الفتوة، وكان إذا مشى في الطريق وضع الخلوق (الطيب) على رأسه ويمضغ اللبان ويطول ذيله، طلبه الحجاج فقال: تلعن أبا تراب وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله، باب من أبواب السجاد عليه السلام مدفون بواسط قتله الحجاج. /أنظر دلائل الإمامة/ الطبري/ ص١٩٣.

(٢) أبو خالد الكابلي، خدم الإمام السجاد عليه السلام دهراً من عمره. اسمه وردان ولقبه كنكر، كنيته أبو خديجة، من حواري علي بن الحسين عليه السلام كان قد خدم محمد بن الحنفية دهراً وهو معتقد بإمامته حتى سأله عن الإمام فأعلمه أن الإمام والحجة هو علي بن الحسين عليه السلام فالتحق بالسجاد عليه السلام وخدمه دهراً. عاصر السجاد والباقر عليهما السلام أنظر الهداية الكبرى / الحسين بن حمدان الخصيبي/ص٢٢١.

(٣) محمد بن جبير بن مطعم: من أهل الحجاز، مدني ، ثقة، من علماء قريش، من أعلم قريش بأحاديثها، عاش إلى سنة مائة هجرية/ التأريخ الكبير/ البخاري/ ج١ ص٥٢. يذكر أن محمد بن جبير في الحديث المذكور موضع البحث باسم جبير بن مطعم وكذلك في غيره والحقيقة هو اسمه الأول (محمد) ويذكر باسم أبيه لشهرته والله أعلم.

أن التقيــة إنما تجب لإبقاء الدين وأهله فـإذا بلغت الضلالة حداً توجب اضمحلال الدين بالكلية فلا تقية حينئذ وإن أوجب القتل كمـا أن الحســين عليه السلام كمـا رأى انطمـاس آثـار الحـق تـرك التقيـة والمسالمة[1].

انطلق الإمام عليه السلام في ساحة المواجهة ليعرف الطغاة أنفسهم التي جهلوهـا وتجاوز تهترهم بالأمة حد المبالغة، وفي نفس الوقت وجه خطابـه إلى أهل الكوفة يوبخهم على ما فعلوه دون أن يعرّفهم من هو، ومن أي الأسـر ينحدر، لأنهم على علم بأنهم من نبي الرسالة المحمديـة، وكلّم أهل الشـام بغير كلامه لأهـل الكوفة حيث أن أهل الشـام لا يعرفـون من هم أهـل البيت وقد عمـل معاوية على غلق الشام وعزله عن الأمصار الإسلامية، ولذا عندما واجه الإمام علي بن الحسين عليه السلام أهل الشام بخطبته الرائعة، غيّر ذلك ا لجمع الكثير من شـامت إلى متعاطف ومن ثم إلى نصير وذلك بعد معرفة أهل الحق وأهل الباطل، ثم أن الإمام عليه السلام في الكوفة قد تمكن من جمع مشـاعر المخاطبين وكذلـك فعل كما هو واضح في أهل الشـام وقد عـرض الفريقين خدماتهم للإمـام عليه السلام وصرحوا بأنهم جند له إن أراد أن يكونـوا كذلـك فيأتمروا بأمره وينتهوا لنهيه ولكنه عليه السلام كان علـى معرفة بهم وبنواياهم ولكنهـم على كل حال قد تعاطفوا مع الإمام عليه السلام وهو بدوره القيادي حوّل ذلك التعاطف إلى ولاء بعد أن ارتد الناس إلاّ ثلاثة كما عرفنا في الحديث المذكور آنفا.

(١) الكافي / الشيخ الكليني/ ج٢ ص٣٨٠.

بيان شواهد الارتداد

إلى جانب الرزايا التي وقعت على المسلمين على يد الأمويين كانت هناك محاولات في إقصاء الإسلام وإبعاده عن خط الولاية الرسالي وذلك من خلال كتمان الحقائق الحقة التي يمتاز بها أهل البيت عليهم السلام ومن خلال تعذيب وتشريد أوليائهم ومحبيهم ومحاصرتهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، فأثر ذلك على المجتمع بصورة عامة وشمل حتى الموالين والمحبين والمريدين لأهل البيت عليهم السلام على رغم الثورات والانتفاضات التي حدثت في المجتمع المسلم وهزت كيان الدولة والسلطة الأموية ومن شواهد ذلك:

أولا- ثورة الحرة

التي قام بها أهل المدينة المنورة بقيادة عبد الله بن حنظلة الأنصاري ابن غسيل الملائكة وكان من قياديي هذه الثورة عبد الله بن مطيع العدوي والمنذر بن الزبير وعبد الله بن زيد بن عاصم وغيرهم من أولاد الأنصار والمهاجرين، فأعلنوا الثورة وطردوا عامل الأمويين[1].

وأنكروا بيعة يزيد (لع) وطردوا بني أمية من المدينة وفي طليعتهم مروان بن الحكم.ثم فشلت الثورة على يد مسلم بن عقبة المسرف في دماء الثوار وأهالي المدينة من شيوخ وأطفال ونساء، وعادت

(١) كان عامل يزيد (لع) على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

المدينة إلى حكم السلطة الأموية وحاكمها يزيد بن معاوية (لع) بعد حرب بين الطرفين (جيش الثوار وجيش الشام) فهزم جيش المدينة وقتل قاداتها[1]. وأزهقت النفوس وسالت الدماء ودنست حرمة المدينة المنورة و لاحد لحجم ا لجريمة التي ارتكبها الأ في وقعة الحرة.

ومن نتائج هذه المعركة

١. هتك حرمة الرسول صلى الله عليه وآله حيث تعرض المرقد الشريف إلى أنواع الإساءات من قبل أهل الشام.

٢. قتل من الموالي ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ومن الأنصار ألف وأربعمائة ومن قريش ألف وثلاثمائة وقيل غير ذلك، منهم سبعمائة من حملة القرآن.

٣. استباحة الفروج، حتى ولدت ألف امرأة من غير زوج بعد الواقعة ولم تضمن بكارة النساء.

٤. أجبروا أعيان المدينة على مبايعة يزيد (لع) على أنهم عبيد له.

(١) عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري غسيل الملائكة وكذلك عبد الله بن زيد بن عاصم وأمه أم عمارة نسيبته بنت كعب الأنصاري وابنا عبد الله بن حنظلة (خلاد وعلي) وعبد الله العدوي والمنذر بن الزبير والفضل بن عباس بن ربيعة وغيرهم.

ثانيا- ثورة مكة

بقيادة عبد الله بن الزبير الذي فر من المدينة المنورة بعد واقعة الحرة والتجأ إلى مكة ولاذ بالمسجد الحرام وأعلن ثورته بعد أن انظم إليه بعض الخوارج والفارين من المدينة بعد واقعة الحرة وسواهم، إلاّ أن الأمويين تمكنوا من إخماد ثورته بعد محاصرته في البيت الحرام ومن نتائج هذه الثورة:

1. **استمالة الرأي العام لصالح ابن الزبير مما أدى ذلك إلى إعلان خلافته للمسلمين.**
2. **هتك حرمة البيت الحرام بضربها بالمنجنيق مما أدى الى إحراقها وهدم جزء منها.**
3. **تقسيم الحكومة إلى قسمين الأول منها أموي وعاصمته دمشق والثاني زبيري وعاصمته مكة المكرمة.**

ثالثا- ثورة التوابين

قامت هذه الثورة في الكوفة بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي والتوابين هم جماعة من أهل الكوفة بلغ بهم التذمر والأسى لقتل الحسين بن علي عليه السلام، فطردوا عامل الكوفة الأموي وعينوا والياً للكوفة[1]، ولم يكتب النجاح لهذه الثورة وفشلت كسابقاتها ومن نتائجها:

(١) عامر بن مسعود الذي لم يستمر طويلاً حتى أيد ابن الزبير ومال إليه.

١. قتل مجموعة كبيرة من موالي ومحبي أهل البيت عليهم السلام.

٢. قتل قادة الثورة أمثال (سليمان بن صرد الخزاعي، عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي المسيب بن نجبة، رفاعة بن شداد البجلي وغيرهم).

رابعا- ثورة المختار

قامت هذه الثورة بقيادة المختار بن عبيد الله الثقفي بعد ثورة التوابين، فطردوا والي عبد الله بن الزبير وتتبع قتلة الحسين بن علي عليه السلام الذين حظوا بحماية السلطة الزبيرية في الكوفة.

وهذه الثورة أيضاً فشلت بعد نجاح لم يستمر طويلا، وتمكن المختار من خلالها ان يقتص من رموز السلطة الأموية الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام ومن نتائج هذه الثورة:

١. قمع وطرد وتشريد الشيعة في الكوفة.

٢. تكالب وتصاعد التيار الزبيري في الكوفة بعد أن هرب جماعة من قتلة الحسين عليه السلام وانتموا والتحقوا بابن الزبير.

هذه أهم الحوادث الدموية والهزات الاجتماعية العنيفة التي عصفت بالمجتمع المسلم بعد مأساة كربلاء.

وكان سببها ما يلي:

الابتعاد عن الخط الرسالي السماوي الذي يمثله الإمام عليه السلام وعدم معرفته وإعطائه حقه، وبذلك حرموا أنفسهم من توجيهات وإرشادات الإمام عليه السلام فثورة الحرة انضم إليها كثير من الموالين لأهل البيت عليهم السلام ولكنهم لم يرجعوا إلى الإمام عليه السلام في أمورهم الدنيوية والأخروية مما وقعوا في المحذور الذي طالما كان ينبه عليه الإمام عليه السلام، ويتكرر الحال في ثورة مكة إلاّ أن أكثر ثوار مكة كانوا ليس على خط الإمامة بل يبغضون أهل البيت عليهم السلام وقد جهلوا حقهم ونازعوهم مراتبهم الإلهية التي جعلها الله لهم، فكتب لها الفشل مع هتك حرمة البيت الحرام وهدم الكعبة المشرفة.

أما في ثورة التوابين فكانت خالصة لأنصار وشيعة أهل البيت عليهم السلام ولكنها أيضاً ثارت وذهبت جهودها في القتل الجماعي في أشرس معركة آنذاك وقد أبيد الثوار بأجمعهم على يد الجيش الأموي، أما ثورة المختار فكان انطلاقها في الكوفة باجتهاد شخصي يحمل الروح الثورية المطالبة بالرضا لآل محمد صلى الله عليه وآله فالتفت حول المختار الجموع النادمة لعدم نصرة الحسين عليه السلام في كربلاء وتمكن الثوار بفرض السيطرة الكاملة على الكوفة وإعلان الدولة الإسلامية ولم يدم ذلك طويلاً حتى تمكن الجيش الزبيري القضاء على هذه الثورة والسيطرة على الكوفة وضمها إلى الدولة الزبيرية، وفشل هذه الثورة أيضاً كان الابتعاد عن المعصوم عليه السلام وعدم الآخذ بآرائه وإرشاداته والاهتداء بهديه.

بناء الأمة

كما أوضحنا أن الأمة ابتعدت عن القائد الحقيقي لها مما أدى إلى تدهور أوضاع المسلمين ولحوق الانتكاسات بها، وفي الطرف الآخر كان الإمام السجاد عليه السلام يعيد بناء الأمة من جديد ويسعى حثيثاً لإحيائها بعد أن تعرضت لتلك الانتكاسات وقد التحق به الكثير وكانت خطة الإمام السجاد عليه السلام تعتمد على:

١. الدرس الذي كان يمارسه الإمام عليه السلام في المسجد النبوي أو البيت النبوي والذي تزاحمت على بابه الوفود من مختلف الأمصار الإسلامية.

٢. العبيد الذي كان يدرسهم الإمام عليه السلام سنة كاملة الأحكام والشرائع الإسلامية ثم يعتقهم ويرسلهم إلى الأمصار الإسلامية.

٣. الدعاء الذي كان يتوجه به الإمام السجاد عليه السلام إلى الله تعالى، ما سمعه أحد إلاّ تسمّر عند بابه حتى ينتهي ومن خلاله يوجه الناس نحو ربى الفضيلة والهداية المطلقة، وكان الإمام عليه السلام يقيم العزاء الحسيني الذي فيه يظهر كيف ظلم أهل البيت عليهم السلام من الأمة، وفضح سياسة الدولة الأموية وحقدها على أهل بيت الرسالة عليهم السلام، والتزم الإمام عليه السلام استراتيجية الابتعاد عن تلك الحركات وعدم الانضواء إليها لعلمه أن تلك الأحداث لا تنتهي إلاّ بالشكل الذي انتهت إليه فيما بعد، بل تمسك الإمام عليه السلام بالنهج

الإصلاحي والتوعية العامة الفكرية والتوجيه الروحي والخلقي لعلمه أنه الطريق الطبيعي والشرعي لحماية رسالة الله تعالى وحفظ البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام.

وقد حقق الإمام السجاد عليه السلام نجاح استراتيجية حركة الإسلام التأريخية من خلال:

١. توسيع القاعدة الشعبية الموالية لأهل البيت عليهم السلام وتكثيف التعاطف معهم وتحويله إلى ولاء حقيقي فاعل.

٢. العمل على رفع مستوى الوعي الإسلامي والانفتاح العلمي على الرسالة الإلهية.

٣. خلق قيادة فكرية متميزة تحمل الفكر الإسلامي أمثال: (أبو حمزة الثمالي، القاسم بن محمد بن أبي بكر، سعيد بن جبير، علي بن رافع، سعد بن مسيب المخزومي، أبان بن تغلب).

٤. مدرسة الإمام عليه السلام، حيث جعل الإمام السجاد عليه السلام من المسجد النبوي الشريف وداره مجالاً خصباً لنشر المعرفة الإسلامية فاتخذ من المسجد والدار مكاناً لتنظيم جهوده البناءة ليكون محل جذب لرواد الفكر بشتى حقوله وأغراضه، فلازمه بعضهم ملازمة التلميذ لأستاذه وسمع منه آخرون فرَوَوا عنه لغيرهم، ولقد أثمرت جهوده في بناء أسس الهيكل

العام لمدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تمثل الإسلام الحقيقي الذي استكمل بناءها وإنضاجها على الوجه الأكمل والأشمل الإمامان (الباقر والصادق عليهما السلام). ومن المدرسة مارس مهمة التعليم ورواية الأحاديث الصحيحة عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله عبر سلسلة نقية تبدأ بسيدَي شباب أهل الجنة وتمر بأمير المؤمنين وتنتهي برسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) فالوحي الإلهي المقدس، وهذا يرشد إلى الفكر السليم والفقه الصحيح والسلوك الأقوى ومن خلال تلك العملية البناءة وعبر خمس وثلاثين سنة، وهي مدة إمامته عليه السلام استطاع أن يصنع رواةً وحفّاظاً وفقهاء وقادة فكر.

الصحيفة السجادية

بعد أن فرضت الحكومة الأموية طوق حصارها على الإمام السجاد عليه السلام وراقبت تحركاته مراقبة دقيقة، تعسّر عليه أن يتحرك بيسر داخل المجتمع الإسلامي وحرص على أن ينشر رسالة الإسلام وأخلاقه وآدابه وأحكامه وإنقاذ الأمة من أئمة الجور الذين مزقوا وجه الإسلام بسلوكهم وطغيانهم وتمادوا باستهتارهم بالقيم وانتهاك الحريات والحرمات، فجعل الإمام عليه السلام ينشر رسالة الإسلام التي لم يرد عليها إلا من ثبت على عقيدته ورسخ الإيمان في قلبه، فدعى الناس إلى الرجوع إلى دينهم وكتابهم وأخلاقهم

وسيرة نبيهم ودعى الحكام إلى إحقاق الحق وإقامة العدل وإنصاف المحرومين والمعذبين ويلفت الأنظار إلى ما يجب توفره في الحكام، وما لهم على الرعية من حقوق وواجبات في مقابل قيامهم بحفظ الأمن ونشر العدل وحفظ الثغور. كذلك وضع الإمام عليه السلام الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم تجاه مسؤولياتهم وما يجب عليهم لله وللناس وبأسلوب يختلف عن أساليب الوعاظ والمرشدين والقصاصين. لقد استعمل الإمام السجاد عليه السلام أسلوب الحوار مع الله تعالى ومناجاته واستعطافه وتمجيده في ستين دعاء عرفت بـ (الصحيفة السجادية) والتي من خلالها مزج العاطفة بالوجدان والقلب والعقل، وحمل الجميع إلى الحقيقة الإلهية المتعالية وحقيقة الواجبات والحقوق الدنيوية ودور العباد والعبادة في إحياء المجتمع وتزكيته والتي تعد من أهم ركائز المجتمع الإسلامي ومن هذه الركائز المحاور التالية:-

١.١ المحور العقائدي: والذي استطاع الإمام عليه السلام أن يجسد بعلمه ودرايته العلاقة بين العبد وربه أو بين الخالق والمخلوق وبأسلوب أدبي قيّم وبمناجاة عذبة صادقة، يصدق أن يقال فيها ما قيل في أقوال جده علي بن أبي طالب عليه السلام أنها تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

١.٢ المحور الأخلاقي: مثل مجمل أدعيته عليه السلام طبيعة سلوكه بشكل عام فإنه قد ضرب أروع الأمثلة في الخلق الإسلامي الرفيع وجسد الشخصية الإسلامية الرفيعة وجسد الشخصية الإسلامية

والمثالية وسعى إلى الارتفاع بالنفس المؤمنة في مدارج الكمال عبر بلورة المفاهيم الأخلاقية التربوية من خلال نسجها بشكل دعاء فيه من الضراعة والخشوع لله تعالى، واستمداد العون منه في شحذ النفس بالتعلق بأخلاق السماء، ولقد رسخ الإمام عليه السلام عبر أدعيته في مختلف مضانها مناهج التغيير الذاتي وذلك بمحاكاته العقل والوجدان الإنساني وتربيتهما رسالياً، وهذه هي مهمة الأنبياء والمصلحين الإلهيين الكبار، فهي من جانب تشد الإنسان وتربطه بالسماء ومن جانب آخر تجعله في الأرض مصدر خير ورحمة، فجاءت أدعيته عليه السلام لتركز على عميق الغموض في الجانب التربوي والأخلاقي والمعرفي الذي لا يكتفي أحد من خلاله بالعرفان المجرد، بل يسحبه إلى الواقع بكل تفاصيله وخيوطه ونسيجه المعقد.

٣. المحور العبادي: لقد أوضح الإمام عليه السلام مسؤولية الإنسان في هذه الحياة ودوره فيها الأمر الذي يعطي العبادة دورها في إحياء المجتمع والفرد من خلال فتح الأبواب إلى مضامينها وأهدافها التي لا يدركها إلاّ القليل ممن تذوّق روح الشريعة الإسلامية وأبصر أبعادها، فشدد الإمام عليه السلام على واجبات الإنسان على الأرض وتطلعه نحو السماء وبذلك يضمن التواصل والجمع بينهما من أجل توفير الحالة الدينية المسؤولة، وشخّص الإمام عليه السلام زوايا النفس البشرية من خلال العبادة الخالصة والتوجه بالنوايا الصادقة والخالصة إلى الله تعالى، والاقتراب إلى الطريق المستقيم عن طريق تزكيته النفس بالتعبد الصحيح.

بهذا المستوى الرفيع من الأدعية والعبادة والموعظة وتضميد هادئ للجرح، تمكن الإمام السجاد عليه السلام أن يشخص كل ما يؤدي بالنفس الإنسانية إلى السعي نحو الكمال.

رسالة الحقوق

تحتل مسألة حقوق الإنسان أهمية متزايدة في العالم المعاصر، وقد ظهرت منظمات عالمية أخذت على عاتقها الدفاع عن حقوق الإنسان وفق منظورها الخاص، والأولى الرجوع إلى ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق، التي تكفلت بتنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في هذه الحياة بنحو يحقق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات ويجمع لها عوامل الاستقرار والرقي والازدهار.

رسالة تهدي إلى التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه وبين مشاعره وسلوكه وبين عقيدته وعمله، إنها رسالة تهدي للتي هي أقوم، في علاقات الناس بعضهم ببعض أفراداً وأزواجاً وشعوباً، دولاً وأجناساً، تقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى ولا تميل مع المودة والشنآن ولا تصرفها المصالح والأغراض.

رسالة تهدي إلى عالم الضمير والشعور والعقيدة الواضحة

والبسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض والتي تطلق الروح من عقال الوهم والخرافة، وتوجه الطاقات البشرية الصالحة إلى العمل والبناء، إنها لنور العدل في الملك ونور الإيمان في الدين ونور الصدق في العمل ونور الحياة الحقة.

وفي بيان الإمام عليه السلام للحقوق لم يترك جانباً إلاّ وخاض فيه وحدد حقوقه، فبين حق ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده ثم يفرع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تعالى تجاه نفس الإنسان فيبين أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشمل على رعاة ورعية مع بيانه للأنواع، الأئمة والمأمومين ودرجاتهم، الموالي وا لجواري ثم سائر ذوي الحقوق كالمؤذن والإمام في الصلاة وا لجليس والشريك الغريم والخصم والمستشير والمشير والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير، حتى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان ثم حقوق من يشترك مع الإنسان في إنسانيته وفي النظام السياسي الذي يخضع له وإن لم يكن من أهل ملته ودينه.

جاءت رسالة الحقوق في مهمة توجهت إلى النفس الإنسانية مباشرةً وراحت تعا لج أدق التفاصيل التي تعتمل في سريرة الفرد ودخيلته، أي على عكس الإعلانات العالمية المعاصرة لحقوق الإنسان التي تصدر المواد القانونية في المجتمع من دون الالتفات إلى دور الفرد في صناعة هذه المقدمة الضرورية لوضع المواد القانونية موضع التنفيذ.. حيث أن إعلان بنود الوثيقة العالمية

جاءت من خارج الإنسان وليس من دوافعه الداخلية التي أرادها الله، كما اهتمت بطرح المفاهيم من دون التأكيد على المصاديق وأكدت على الحكومات والشعوب من دون النظر إلى الفرد. والنفس البشرية، فهي على عكس ما قاله الإمام عليه السلام أو ما فعله حيث اهتم بسريرة الإنسان ودخيلته وعلاقته مع ربه وصولاً إلى عملية التغيير الكبرى في إطار الأمة والمجتمع فهو عليه السلام حين يقول مثلاً (أفضل الجهاد عفة البطن والفرج) فإنما يدعو إلى ترسيخ أعظم القيم في النفوس، أي تهذيب هاتين الشهوتين اللتين بسببهما تعلن الحروب وتنشب المعارك وترفع رايات الاقتتال على مستوى الأفراد والشعوب.

ونرى الإمام السجاد عليه السلام يؤكد على حقوق أهل الذمة وأن (يقبل منهم ما قبله الله عز وجل) ويمارس ذلك واقعاً وسلوكاً وهذا يدعو إلى احترام الإنسان مهما كانت ديانته ومعتقداته وبعيداً عن الشعارات التي يرفعها الحكام وأدعياء الحريات وحقوق الإنسان للاستهلاك والتسويق السياسي بكل صورة وألوانه المحلي والعالمي.

هكذا خلد الإمام عليه السلام بفكره وسعة علمه وحبه لله تعالى فكان من أعظم القادة المصلحين وزعماء الأمم المتحررين.

أقسام الحقوق

كان الإمام السجاد عليه السلام قد قسم الحقوق في رسالته والتي تعد من نفائس التراث الإسلامي وأعظم الذخائر وفيما يأتي بعض منها:

حق الله تعالى

١. حقوق الأعضاء وتشمل: (حق النفس، حق اللسان، حق السمع، حق البصر، حق الرجل، حق اليد، حق البطن، حق الفرج).

٢. حقوق الأفعال وتشمل: (حق الصلاة، والصوم ، والحج، والصدقة، والهدي).

٣. حقوق الأئمة وتشمل: (حق السلطان، والمعلم، والمالك).

٤. حقوق الرعية وتشمل: (حق الرعية، حق الرعية بالعلم، حق الزوجة وحق المملوك).

٥. حقوق الرحم وتشمل: (حق الأم، حق الأب، حق الولد، حق الأخ).

٦. حقوق الناس وتشمل: (حق المنعم بالولاء، حق المولى ا لجارية عليه نعمتك، حق ذي المعروف، حق المؤذن، حق الإمام، حق ا لجليس، حق ا لجار، حق الصاحب، حق الشريك، حق المال،

حق الغريم، حق الخليط، حق المدعي، حق المدعى عليه، حق المستشير، حق المشير، حق المسؤول، حق من سرّك، حق من أساء القضاء، حق أهل الملة وحق أهل الذمة)

الإمام عليه السلام يكمل رسالة جده المصطفى صلى الله عليه وآله

وجه الإمام عليه السلام الأمة الإسلامية من خلال كلماته الرائعة إلى معارف العلوم الإلهية والخلق الرفيع والاهتداء إلى نور الهداية المحمدية والولاية الإلهية المتمثلة بأهل بيت النبوة وبيان فضل هذا البيت وشرفه على سائر البيوتات.

وقد أكمل الإمام عليه السلام ما أسسه جده المصطفى صلى الله عليه وآله لبناء خير أمة أخرجت للناس، بعد أن تخبط الناس يميناً وشمالاً وانحرفوا عن الخط الرسالي، وبدأ كل شيء على غيرما أُسّس.. حتى نهض الحسين عليه السلام بثورته العارمة التي أيقظت الأمة من سبات عميق طالما حاول وسعى جاهداً الحاكم الأموي لاستمرار نومها وطمس معالم الدين الحنيف وإخماد أنوار هدايته التي تقضّ مضاجعهم وتهدد كراسيهم بعد أن تسلطت على رقاب الناس بغير عدل واستحقاق، فقد عمل الإمام عليه السلام بكل ما أوتي من قوة حتى أعاد صورة الإسلام إلى حقيقتها، ونبه الأمة إلى الرجوع إلى الله تعالى والتمسك بكتابه وعترته.

فجاء بناء الأمة وفق المنهج الصحيح بعد إيجاد القاعدة الصالحة المؤهلة لحمل الأهداف الحقيقية للرسالة المحمدية، والتي يجب أن تكون إذا ما أرادت النجاح ملتفة حول القيادة الإلهية المتمثلة بالأئمة عليهم السلام ومن خلال ذلك، تستمر الرسالة ويستمر وهج الهداية حتى قيام آخرهم عجل الله فرجه فيملأها قسطاً وعدلاً، لينتشر النور الإلهي بحكومة العدل الإلهي.

الفهرس

علي بن الحسين عليه السلام ٣

الإمام السجاد عليه السلام يقود الأمة ٤

بيان شواهد الارتداد ٨

بناء الأمة ١٣

الصحيفة السجادية ١٥

رسالة الحقوق ١٨

أقسام الحقوق ٢١

الإمام عليه السلام يكمل رسالة جده صلى الله عليه وآله ٢٢

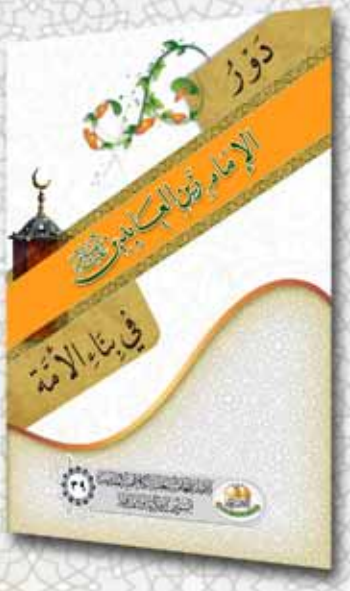

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
www.aljawadain.org زورونا

الشؤون الفكرية والثقافية
fikriya@aljawadain.org راسلونا